

تحديات الخطاب الديني

أ. سمية عزابي - جامعة الوادي

soumia_azzabi@yahoo.com

تاريخ الاستلام : 2019/03/14 ؛ تاريخ المراجعة : 2019/08/05 ؛ تاريخ القبول : 2019/09/15

ملخص :

هدفت الدراسة إلى التعرف على الخطاب الديني وعلى مختلف خصائصه وأبعاده، وتوضيح مختلف الركائز التي ينطلق منها، كما بينت الدراسة التحديات الراهنة التي تواجه الخطاب الديني فهو اليوم يعيش جملة من التحديات الحقيقية نتيجة العولمة وثورة المعلومات وما فرضاه من هيمنة على مختلف المجالات وما نتج عنها من تحديات، والتي تعتبر مشكلات وعوائق إن لم تستغل في الوجهة السليمة .

الكلمات المفتاحية: خطاب ؛ دين ؛ تحديات.

Abstract :

The goal of this paper is to identify religious discourse so that it is in close alignment with Islamic Identity, and improve religious discourse in contemporary reality, and identify the problems he is experiencing.

Finally, we ask the question : What is problems of discourse Islamic religion

Keywords : Religion; Discours; Problems ; Islamic

1- تمهيد :

لقد اختص الله عز وجل الأمة الإسلامية دون سواها برسالة التبليغ، فالمسلمين مطالبون في كل عصر بتبليغ رسالة الله عن طريق خطاب ديني يعرف بالإسلام شرعة ومنهاجا، فالخطاب هو الوسيلة المثلى للدعوة، والتخاطب وسيلة يمتلكها كل الناس، كما يتميز بالحيوية خلال التبليغ . يقول تعالى في كتابه الكريم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو أمن أهل الكتاب خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم فاسقون) .

فالأمة الإسلامية مطالبة بخطاب يتسم بالوسطية والاعتدال، فهو ينطلق من خصائص ومنطلقات تميزه عن غيره من الخطابات، فالיום ومع مختلف التطورات والتغيرات من عولمة ومعلوماتية، وعليه الخطاب الديني مطالب بمواكبة العصر دون فقدان الهوية الإسلامية، وهو ما نحاول توضيحه خلال هذه الورقة البحثية.

2- مفهوم الخطاب الديني :

الخطاب :

الخطاب لغة :

يعرفه ابن منظور (ابن منظور، 1997، 275) الخطاب والمخاطبة بمراجعة الكلام، قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان . وتعتبر الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ، والخطبة عند العرب هي الكلام المنشور المسحج ونحوه مثل الرسالة، ويعني الحكمة والبينة واليمين في قوله ﷺ « وفصل الخطاب »، أما في الفقه فهو الفصل بين الحق والباطل ، وتمييز بين الحكم وضده .

ويعرف في اللغة العربية بأنه توجيه الكلام نحو الغير لإفهام (محمود، دس).
وفي اللغة الفرنسية (ميلز، 1، 2004) كلمة "Discours" تأخذ عدة معاني:

- ❖ اتصال لفظي ، كلام ، محادثة.
- ❖ معالجة شكلية لموضوع ما شفويًا أو كتابيًا.
- ❖ وحدة نصية يستخدمها المختصون في مجال الألسنية للتحليل .
- ❖ وأصل كلمة "Discours" هو اللاتينية المستعملة في القرون الوسطى ومعناها الحجج
وفي اللغة الإنجليزية "To Discours" وتعني:
- ❖ القدرة على التفكير .
- ❖ المشاركة في المناقشة.

الخطاب اصطلاحاً :

- ❖ يعرفه عبد الواسع الحميري بأنه إستراتيجية التلفظ أو نظاماً مركباً من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبة والدلالية والوظيفية، التي تتوازي وتتقاطع جزئياً أو كلياً في ما بينها (الحميري، 11، 2009) .
- ❖ يعرفه "جافري ليتش" "Geoffrey Leech" بأنه اتصال لغوي يعتبر صفق بين المتكلم والمستمع وتوقف صيغته على غرض اجتماعي (ميلز، 5، 2004).
- ❖ يعرف "فير كلاو" "Firclaough" الخطاب بأنه يستخدم اللغة والكتابة وهو أحد أشكال الممارسة الاجتماعية من وجهة نظر معيّنة (شومان، 25، 2007).
- ❖ كما يعد الخطاب بأنه يعبر عن الواقع الاجتماعي، وبدون خطاب لا وجود لواقع اجتماعي، وبدون فهم الخطاب لا يمكن للفرد أن يفهم واقعه ومختلف التجارب .

كما تساعد عملية تحليل الخطاب على فهم الواقع الاجتماعي (شومان، 26، 2007)، حيث من خلال تحليل الخطاب (الموضوع المراد دراسته) يعطي بعداً أوسع عن فهم الموضوع إلا أن الملاحظ اليوم يجد أن الخطاب اليوم تحول إلى سلطة، ولو بالتحالف مع السلطة السياسية والتي تتميز بطابعها التسلطي، إذ نجد أن الخطاب كلما ما اتجه من سدة السلطة السياسية ازدادت شهية القمع والتسلط وهذا خاصة في المجتمعات ذات السلطة الديكتاتورية، والفارق بين خطاب وآخر يكمن من حيث نوعية الخطاب والجهة التي تصدر الخطاب وكذا الموضوع وطبيعة قناة الاتصال (ابو زيد، دس، 5).

يستعمل الأدباء كثيراً دراسة الخطاب وخاصة ما هو نص، والذين يرونه بأنه نظام السلوك الاجتماعي والتواصلي ويصفونه بأنه :

نظاماً للتفاعل والجدل بين أطراف العملية التواصلية أي بين المتلفظ وملفوظة من جهة وبين المتلفظ وملفوظة من جهة ثانية، ويوصفه كذلك بأنه نظاماً للتعبية

والخضوع أو للتعبية والاستماع وتعين ثلاث أنماط رئيسية للخطاب هي:

- ❖ نظام التعالي : وفيها يتعالى المتلفظ على عالم التلفظ .
- ❖ نظام التفاعل والجدل : وفيه تواصل بين المتلفظ والملفوظ .
- ❖ نظام التبعية والسقوط : سقوط الكينونة المتلفظة في عالم التلفظ وتبعتها له (الحميري، 12، 2009) .

الدين :

الدين لغة:

يعرف في قاموس المحيط، و لسان العرب بأنه الملك والخدمة، العز والذل، الإكراه والإحسان، العادة والعبادة، القهر والسلطان، الخضوع والطاعة

الإسلام و التوحيد وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد الله بيه... الخ(السماطوي,198, 17).

أما في معاجم اللغة الغربية وكتب التفسير فهناك مجموعة متعددة لكلمة دين فمعناها الملك والسلطان, الطاعة العبودية, العقيدة الملة, طريق المنهاج ويقصد به شريعة الإسلام.

وأما مفهومه في العلوم الاجتماعية وتاريخ الأديان يقصد به ظاهرة اجتماعية لها جانبان هما:

* جانب نفسي: وهي حالة ذاتية داخلية يستشعرها المتدين والتي يطلق عليها حالة التدين(حالة الانقياد والإدعان للمعبود)

* جانب موضوعي خارجي أو واقعة موضوعية: وهذا الجانب يتضمن العادات والشعائر, المعابد, المعتقدات والمبادئ التي تدين بها أمة أو شعب أو مجتمع ما(السماطوي,1981, 22).

الدين في القرآن الكريم:

تشير أشهر التعريفات الإسلامية للدين أنه "وضع الهي سائغ لدوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والصلاح في المال" وقد جاء لفظ الدين في القرآن الكريم بعدة معان مترابطة بعدة معان مترابطة " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن" (النساء-125) أي أحسن طاعة وعبودية ودان لله بمعنى أطاعه وأحبه وخافه. وقال عز وجل وقال عز وجل "وكنا نكذب بيوم الدين"(الكوثر-46) وقوله تعالى "مالك يوم الدين" (الفاحة-3) أي يوم الحساب والجزاء أو يوم الملك الحقيقي حيث يتساوى جميع الخلق, وينادي يومئذ "لمن الملك اليوم... الله الواحد القهار"(غافر-16) وقال تعالى "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" (يوسف-76) أي في قانون الملك ونظامه وشريعته. وقوله تعالى "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" (النور-2) أي في حكم الله وقانونه السماوي. كما يأتي بمعنى المنهج والطريقة حيث يقول تعالى "لكم دينكم ولي ديني" (الكافرون-6), كما يأتي بمعنى العقيدة والملة حيث يقول تعالى "شرع لكم من الدين ما وصى بما نوحا والدي أوحينا إليك" (الشورى-13) ويأتي كذلك بمعنى نظام الحياة عامة عقيدة وشريعة وخلقا حيث يقول تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران-19) وقوله سبحانه "ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران-85)

يذهب الأستاذ أبو الأعلى المودودي في دراسة له بعنوان "الدين القيم" أن الإسلام منهج للحياة وطرز خاص للتفكير والعمل, وهو إلى جانب ذلك يعني طاعة الإنسان لربه وانقياده له وإسلام وجهه إليه وأن يقبل المسلم المنهاج الفكري والعملية الذي أنزله الله لهداية البشر, ويتبعه منقاداً له منسلخاً من الفوضى الفكرية والعلمية (السماطوي,1981, 22).

الخطاب الديني:

تنوعت وتباينت تعريفات الخطاب الديني إلا أنها تسير في نصح واحد وهو انه ينطلق من الدين الإسلامي الخفيف ومن بين التعريفات نذكر منها :

يعرفه الحبيب الجفري بأنه كل خطاب يتعلق برسالة الدين الإسلامي منهجا , وتخصصاً علمياً أو فكرياً أو دعوياً أو سلوكياً تربوياً و هو يشمل

*التعاليم الشرعية و الأمور التعبدية و الوعظية .

* صلة الحياة بالدين و يدخل في ذلك العلوم الإنسانية و التطبيقية و التحريية وكل ما يشمل أوجه الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية , (الجفري, 2004, 3).

الخطاب الديني هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سموات عن طريق الوحي , لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم , وهذا الخطاب هو الذي يحدد المصلحة من المفسدة , والصلاح من الطالح , والمستقيم من المعوج , والمؤمن من الكافر , والصواب من الخطأ , ويقرر السلم من الحرب , وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنة أو النار , هذا هو الخطاب بالدين المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه , وهو محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:9) (ابو زينة) .

والخطاب الديني أساسه, أو قوامه, فهم استنبطه العقل المسلم من الوحي, واجتهاد استحلال إلى أنماط متنوعة في العمل والسلوك والعلاقات العامة, لذلك فهو- كما يرى المفكر السعودي البارز الدكتور عبد العزيز التويجري- يتداخل ويتداخل مع مصطلح الدعوة الإسلامية, غير أنه أعم وأشمل, وبناءً

على ذلك فإنه لا حرج في استبدال مصطلح الخطاب الديني بـ«الدعوة الإسلامية»، مادام القصد هو إيجاد صيغة أكثر شمولاً وأعمق دلالة للتعبير عن المعنى المقصود، وشحنه بالمفاهيم الإسلامية وتوظيفه ليؤدي معاني الدعوة الإسلامية بصورة مستفيضة. فالعبرة تكمن في حسن استخدام المصطلح والإفادة من مضامينه وتأثيراته وظلاله.

كما يشير إبراهيم نويري أن للأمانة التاريخية والعلمية يجدر أن نشير إلى أن مصطلح «الدعوة الإسلامية»، بهذه الصيغة المركبة والمضافة، لم يكن مستعملاً لدى علماء المسلمين ومفكري الإسلام ومؤرخيه قبل القرن التاسع عشر الميلادي، بل نثر على مصطلحات أخرى تقوم مقامه وتؤدي وظيفته، أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والحسبة أو الاحتساب، وتبليغ دين الله، والدعوة إلى الخير... الخ.

ويقدم الداعية الجزائري المفكر الشيخ الطيب برغوث تعريفاً آخر لمصطلح الخطاب الديني بوصفه «محمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية- من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف- المتحددة والمستخدمة في العمليات التغييرية، المخططة أو العفوية، الرسمية أو الشعبية، الفردية أو الجماعية، الهادفة إلى نصرته الإسلام كمنهج، وكتاريخ، وكحضارة، وك مستقبل، والتمكين له في الواقع الإسلامي أولاً، والواقع الإنساني ثانياً» (نويري، 2001).

والخطاب الديني هو الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول دين الإسلام، القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية أو أفراد متفرقون جمعهم الاستناد للدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم، لإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية والثقافية التي يحيوها، أو للتعاطي مع دوائر الهويات القطرية أو الأومية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها (فؤاد).

ويقصد بالخطاب الديني ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتسبون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة، سواء كان ذلك من خلال الخطب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإعلامية الأخرى وقد يدخل ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية، بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب الديني ليشمل النشاط الإسلامي والنشاط الدعوي وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية بشكل عام الفقهي منها والعلمي والدعوي والتربوي ونوع النشاط الذي تقوم بيه لتقييم مدى نجاحه وفشله وقربه من المقاصد العامة للتشريع ومن بعد ذلك تقويمه وإصلاحه وتجديده (العودة).

3 خصائص الخطاب الديني (أبو زينة):

الخطاب الديني يتميز عن غيره وأهم خصائصه هي :

انه خطاب عالمي ، بمعنى انه جاء يخاطب البشرية جمعاء بغض النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم ، لذا خاطبهم القرآن ب (يا بني آدم) و(يا أيها الناس) ، فالإسلام دين عالمي ، جاء للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: من الآية 28) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: 107)، لكن الخطاب الموجه إلى الكفار، يختلف عن الخطاب الموجه إلى المسلمين، وهذا يبرز في كيفية خطاب القرآن للكفار ، حيث كان يخاطبهم في أصول الاعتقاد، ويدحض الشبهات والافتراءات التي يثيرونها، ولا يخاطبهم في الفروع، وبديهي أن فاقد الأصول لا يناقش في الفروع، فالخطاب إما أن يكون موجه إلى الكفار مباشرة بدعوتهم لاعتناق الإسلام والدخول فيه وترك ما يخالفه ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 21)، وإما أن يكون موجه إلى المسلمين، وذلك بدعوتهم إلى الالتزام بأحكام الإسلام وعدم الحياء عنه وعن تطبيقه في الحياة ، والآيات كثيرة التي جاءت تنطق بالأحكام الكلية والجزئية التي تخاطب المسلمين، وغالبا ما يكون الخطاب بأحب ما يسمعه المسلمون (يا أيها الذين آمنوا) . وخطاب الإسلام يستهدف العالم جميعا بلا حياء أو خجل ، وشرع الجهاد في سبيل الله لإزالة الحواجز المادية التي تحول دون وصول الدعوة إلى عقول وقلوب الناس .

أنه خطاب شمولي ، وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وغيره وفيه الخطاب العقائدي، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 21)، وفيه الخطاب السياسي، قال الله تعالى : ﴿ وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: 49) ، وورد عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ

الارتباط بغير العقيدة الإسلامية ، واعتبر الروابط الأخرى من أمر الجاهلية ، وأنها لا تصلح لأن تربط بني الإنسان ببعضهم ، لأنها روابط منحطة لا تليق بالإنسان ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:10) ، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:52) ، فرابطة العقيدة لا تتقطع باختلاف النسب ، ورابطة النسب تتقطع باختلاف العقيدة.

الخطاب الديني الأمثل ينبغي أن يتصف بالخصائص التالية:

ربانية المصدر والغاية، علمية التوجه، إنسانية المنطلق، أخلاقية المحتوى، اقتران العقل بالروح، الجمع بين المثال والواقع والأصالة والمعاصرة والمحلية والعالمية، التوازن والشمول، الانفتاح، التخيير، التعدد، التدافع، التوسط، والاعتدال، الحوار، التنوع، النمو والاطراد، وهو يدعو إلى الاجتهاد ولا يتعدى الثوابت، يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي، يؤمن بالشورى والتريث في اتخاذ القرار، يدين التخريب والإرهاب ويحض على الجهاد، ويرفض الانغلاق والتحجر والتطرف والغلو ويؤمن بالاختلاف والمرونة والتسامح.

ولا ريب في أن هذا الخطاب المتكامل الذي تتطلع إليه بكل هذه الخصائص لن يكون له وجود في دنيا الواقع الراهن بسبب ما هي عليه عقلية معظم الذين يمارسون الخطاب الإسلامي بمختلف صورته ومستوياته التربوية والإعلامية وثمرته تنشئتنا الأسرية الاجتماعية والثقافية التي لا تزال في معظمها مثقلة بالكثير من المثالب وملفتة عن العصر.

4- منطلقات الخطاب الديني (البشير)

الخطاب الديني المنشود لا بد له أن ينطلق من ركائز جامعة .. تحيط بالمطلوب وتستوفي المنشود ، وأهم هذه الركائز يتمثل في الآتي :

1. **ربانية المصدر والغاية** : فالخطاب الديني يجب أن يكون ربانياً في مبدأه ومصدره .. من الله يصدر واليه ينتهي .. منبعه الوحي .. ولا يملك مجتهد مهما سما قدره أو علا كعبه أن يحدث في هذا الدين ما ليس منه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، هذه الربانية عصمت الفكر الإسلامي من التناقض وبرأته من التحيز وحررته من الهوى وأضفت إليه قدسية لم تتأت لغيره . كما يجب أن يكون ربانياً في غايته ووجهته ، يرمي إلى أن يعرف الإنسان لوجوده غاية ومسيرته وجهة وحياته رسالة ، فيجتمع شتيته ويأتلّف شعته ويتوحد همه ويطمئن قلبه .

2. **عالمية الوجهة** : فالخطاب الديني عالمي المنزح والوجهة ، لا يحفل بجنس ولا يتحيز لعرق ولا يتكتل في لون ، ولا ينكفي على صفوة من الناس مختارة بل هو خطاب للناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم واجناسهم ، لذلك نجد أن مفردات القرآن حفلت بندايات للناس جميعاً : يا أيها الناس ، يا بني آدم وتكررت فيه لفظة "العالمين" ، ولفظة "من" التي تفيد العموم والشمول لكل من يعقل ، وتحققت عالمية الخطاب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ وجه خطابه إلى ملوك ورؤساء العالم وقتها ، فكتب إلى كسرى عظيم الفرس ، وقيصر عظيم الروم ، والمقوقس عظيم القبط ، والنجاشي ملك الحبشة .

3/ **إنسانية المنطلق** : فالنزعة الإنسانية هي لحمية الخطاب الديني وسدته ، ويكفي للدلالة على ذلك أن لفظة "الإنسان" تكررت في القرآن (63) ثلاثاً وستين مرة ولفظة "بني آدم" تكررت ست مرات وكلمة "الناس" تكررت (240) مائتين وأربعين [6] مرة ، وأول نداء في القرآن كان نداء للناس كافة ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)) ، كما أن أول خمس آيات نزلت من القرآن (من سورة العلق) ذكرت لفظة "الإنسان" في اثنتين منها ((اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) .

و الله سبحانه كرم الإنسان إذ خلقه بيده في أفضل صورة و أجمل منظر و أحسن تقويم ، ونفخ فيه من روحه، وميّزه بالعقل الذي يعي ويريد ويختار، واسجد له ملائكته واحتفتي به في الملاء الأعلى وسخر له الكون، وأنزل إليه كتبه ، واختار منه رسلا، يدعون إلى إله الواحد الديان، ويسمون بإنسانية الإنسان .

كذلك كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تأكيداً لهذه الإنسانية ، إذ أنه _ صلى الله عليه وسلم _ الرحمة المهداة للعالمين (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ، وكانت أفعاله وأقواله _ صلى الله عليه وسلم _ تأكيداً لمبدأ الأخوة الإنسانية (أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة) ، والمساواة الإنسانية (كلكم لآدم وآدم من تراب) ، وأهمية الأعمال الإنسانية (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال : إصلاح ذات البين، فإن فساد البين هي الخالقة) ، (أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم : تكشف عنه كربه، أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً ، ومن كظم غضبه ولو شاء ان يمضيه أمضاه _ ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم ينعقد الأقدام) .

4/ **وسطية المنهج** : الخطاب الديني يراعي التوازن بين العقل والوحي ، وبين المادة والروح ، بين الحقوق والواجبات ، بين الفردية والجماعية بين الإلهام والالتزام بين النص والاجتهاد بين الواقع والمثال ، بين الثابت والمتحول . بين الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر ، لذلك تجده لا ينظر للحضارة الغربية بازدراء واحتقار ، كما لا يراها بعين الإعجاب والانبهار ، بل يتعامل معها بميزان العدل والإنصاف .

5/ **أخلاقية المحتوى** : فالأخلاق لها مكان رحيب و منزلة سامية في الخطاب الإسلامي يبينها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . فهي ثمرة الإيمان الصادق والتعبد الخالص . وليس ثمة انفصال في الإسلام بين الأخلاق والعلم ، أو الأخلاق والاقتصاد ، أو الأخلاق والسياسة ، أو الأخلاق والحرب .

6/ **إيجابية البناء** : وهي نقيض السلبية التي لا ترى الدين أكثر من عقيدة في الصدور ، وعلم في السطور ، وتمايم في النحور ، وعظماء في القبور ، وتقصيه عن أن يكون منهج حياة ، ودافع بقاء ، وباعث عمارة ، ومنشئ حضارة .

5 - أبعاد الخطاب الديني

يعالج الخطاب الديني العديد من القضايا المختلفة و المتنوعة باعتبار انه نابع من منطلق التقديس من القران الكريم و السنة النبوية السمحة حيث وضع الله عز وجل لإنسان كل المسائل الدينية و الدنيوية في كتابه و سنته ومن هذا المنطلق نستخلص أبعاده و التي تتمثل في :

البعد الديني والعقدي :

و المتمثل في الإيمان بالله و التوحيد بيه بأنه الله الخالق ولا اله غيره و التسليم بما جاء بيه رسوله الكريم و كل ما جاء في السنة المطهرة

البعد الاجتماعي :

يختزل النص الديني في طياته قراءة دقيقة للواقع الحياتي على الأقل بسبب كونه مقدساً، كما انه يعالج العديد من القضايا المختلفة والمتنوعة وبصورة تعطي للكيان الإنساني زخماً كبيراً، فالإنسان في مكونات النص الديني محاط بنوع من التكريم والتقديس يقول تعالى " ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" فهذا الجزء من النص لا يرد منه أن يقرأ أو يحفظ في الصدور، لأنه مرتكز من مرتكزات التعاطي القرآني الواقعي مع الحياة، فترسيخ هذا البعد في العمق الثقافي والاجتماعي... من شأنه أن يبلور الكثير من الحلول لمجموعة متنوعة من القضايا مثل الحريات، حقوق الإنسان، التربية القائمة على أساس الاحترام المتبادل، العلاقة الزوجية...

غير أن ما يهمن في هذا المقال ليس دراسة الآية أو البحث في مكونات هذا البعد وانعكاساته على الحياة، ولكن نريد أن نشير إلى أن الهدف من الأبعاد والمرتكزات التي تضمنها النص الديني هو العمل بما لحفظ الوجود الإنساني، وضمان استمراره بما يحقق الغاية الكبرى من الوجود.

فالاعتقاد بقداسة النص إنما هو نوع من أنواع الدفع نحو الالتزام والتطبيق للأبعاد التي جاء بها النص المقدس نفسه. لان الاعتقاد بقداسة النص وتعظيمه دون الالتزام بمكوناته هو استهتار ومراوغة في قالب تختلف أجزائه الداخلية عن الخارجية.

ولعل السؤال المهم في هذا الجانب هو عن دور الخطاب الديني في تفعيل مثل هذه الأبعاد وترسيخها في الفكر الجمعي، وبلورة صيغها لتكون بديلاً عن الأنماط السائدة في المجتمع، فالخطاب الديني الذي يعنى بدراسة النصوص الدينية وتحليلها بشكل دائم، وتطول في أرواقه النقاش، يكتفي بإظهار

قدرته على تحليل النصوص ودراستها، وجهات صدورها ضمن بعض أدواته مثل المحاضرات والكتابات، فالخطاب الديني لا ينتخب أدواتها ليجعل من هذه المرتكزات والأبعاد ممارسات فتبقى حبيسة الكتب والدرس وموضوع حوار النخب الثقافية المتنوعة.

فالخطاب الديني هو المسفول الأول عن تثبيت وترسيخ هذا اللون من التشريعات في الوسط الاجتماعي، لكونه الأكثر ملامسة واحتكاكا مع النص المقدس، ولتعاطيه الدائم والمستمر معه من خلال وعي القراءات المختلفة والمتباينة، وقدرته على اختيار الأطروحة الأنسب.

من هنا فإن الخطاب الديني معني وبشكل كبير عن تفعيل مثل هذه الأبعاد وإبرازها إلى حيز الممارسة والتطبيق، والخروج بها من فضاء المكتبات والكتب والدرس إلى الفضاء الاجتماعي عبر مختلف الأدوات المناسبة ولو في الحدود القريبة واللصيقة بالخطاب الديني، ليس بغية فوقعتها وإنما للانطلاق بها كمرحلة من مراحل التأسيس كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في انطلاقة بالرسالة السماوية من العشيرة الأفريين إلى الوسط الاجتماعي الواسع (السادة).

البعد الاقتصادي :

وضع الدين الخفيف للمسلم كل التعاملات من بيع وشراء و كل الأمور المتعلقة بالاقتصاد بالمفهوم الحالي وبذلك فيه تشجيع للشباب للعمل و المشاركة وإيجاد الحلول لكل المشاكل المادية التي تواجهه .

وعلى الأفراد الانتباه إلى ضرورة الاعتناء بالخطاب الديني في كل المستويات ، وخاصة المراحل التعليمية الأولى ، التي تعد المراحل الأساسية في تكوين النشء، حتى يكون كل ما يتعلمه قاعدة و ركيزة سليمة، ينطلق منها في كل أمور الحياتية مع تبيين الخطاب الديني الحقيقي كما جاء به الدين الخفيف.

6 - تحديات الخطاب الديني

لقد واجه الخطاب الديني العديد من التحديات منذ قرون إلا أن أخطرها هو العولمة و وسائل الاتصال و ما لعبته الحرب الإعلامية الثقافية الطاحنة على الإسلام ، بوصفه دين إرهاب و عنف ، التي تجاوزت كل أعرف و تقاليد العلاقات بين الأديان و الحضارات و الأمم ، كما تمثل ذلك في الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد (صل الله عليه و آله) ، التي نشرتها صحيفة ديمركرية ثم أعادت نشرها عدد من الصحف في الدول الأوروبية ، في تحدٍ سافر لمشاعر المسلمين، وإساءة صارخة لدينهم وهويتهم، إن الخطاب الإسلامي يواجه الآن تحديات داخلية هي الأهم والأخطر على مستقبل الإسلام والأمة، فلا بد من الاستجابة لها والارتقاء إلى مستوى مواجهتها، ولعل من أبرز هذه التحديات ما يلي:

أولاً : إنتاج ثقافة التنمية و البناء

لقد برع الخطاب الإسلامي في تعبئة جماهير الأمة ضد الأعداء ، و ضد واقع الفساد و الانحراف ، و تلك مهمة هدم و تقويض. و لكن ما البديل الذي يجب أن تنتجه الأمة لبنائه على الصعيد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي ، و بناء المعرفة و تنمية الأخلاق ؟ و كيف يقود الإسلام معركة التنمية و البناء ؟ هذا ما يحتاج إلى إجابة معمقة تتضمن برامج عمل ، و آليات تنفيذ ، و ثقافة حركة و إدارة.

ثانياً : العلاقة الإيجابية مع الآخر

المصالح في عالم اليوم متشابكة، والصراع والنزاع ليس هدفاً ولا إستراتيجية دائمة، وإنما هو ضرورة بمقدار مواجهة العدوان، كما أن الإسلام رسالة خير ورحمة للبشرية جمعاء من هذا المنطلق لا بد من إنتاج خطاب يساعد على الانفتاح والحوار مع الآخر، ولا بد من نشر ثقافة دافعة لصنع العلاقات الإيجابية مع الغير، ولتجاوز آثار مراحل الصراع والنزاع دعاء الإسلام عانوا من قمع الأنظمة التي انبثقت من التيارات المناوئة، صحيح أن هناك اعتداءات لا تزال قائمة ضد الإسلام والأمة ، لكن المطلوب حصر المواجهة والصراع مع الجهات المباشرة للعدوان دون استعداد للعالم كله، وتعميم الصراع على مستوى الأديان والحضارات.

والأشد إلحاحاً حاجة الأمة إلى ثقافة العلاقة الإيجابية مع الآخر الداخلي ، حيث لا يزال نعيش آثار الصراعات القديمة التي حصلت بين الأسلاف في القرون الأولى لتاريخ الأمة، والتي تتفجر اليوم على شكل فتن و نزاعات طائفية . كما لا يزال التنوع القومي والقبلي عائقاً أمام الوحدة الوطنية، والاستقرار السياسي، في عدد من البلدان العربية والإسلامية.

ثالثاً : ترشيد التوجهات والممارسات الدينية

فالإقبال على الدين، وارتفاع المعنويات في أوساط المتدينين، قد يدفع باتجاه الغلو والمبالغة في التوجهات والممارسات الدينية، خاصة وأن في تراث الأمة بمختلف مذاهبها ما يغذي مثل هذه الاتجاهات.

كما أن بعض القوى الدينية التقليدية التي لا تمتلك مشاريع للتنمية والنهوض، قد تسعى لدغدغة مشاعر العامة، وعواطفهم الدينية، لتعزيز نفوذها ومواقعها، في

مقابل صعود قوى الإصلاح والتطوير، وليس مستبعداً أن تدخل على الخط بعض الجهات الخارجية، أو بعض القوى في الداخل لتشجيع اتجاهات المبالغة والغلو في الأوساط الدينية.

إن خطر توجهات الغلو كبير على مستقبل الإسلام و الأمة، ولذلك حذر الله تعالى الأمم السابقة من الغلو في الدين، يقول تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ "

7- آليات تطوير الخطاب الديني

قد تكون مشكلة الخطاب الديني اليوم في خلل نتيجة معادلة الدعوة والعمل الإسلامي، والإبقاء على الوسائل القديمة في الدعوة وإيصال المفاهيم هو المنهج الأمثل، والتوهم بأن الوسائل من الثوابت والمقدسات التي لا يجوز تطويرها أو حتى مراجعتها ودراسة جدواها، في حين لو نظرنا في أساليب الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والقرون الماضية نجد أنها قد تجددت بتجدد الأحداث والثقافات والأفكار بسبب الإطلاع في ثقافات الآخرين، فجمع المصحف وتدوين السنة وتأليف الكتب في الحديث والمختصرات في الفقه والأصول والمنظومات المتعددة التخصصات كله من أساليب تجديد الخطاب بما يناسب العصر دون الخروج عن الأصول ودون تغيير للثوابت الحقيقية، ونأتي باختصار شديد على أهم الوسائل التي تساعد على إنجاح الخطاب الديني

1- اختيار الزمان والمكان المناسبين :

وذلك لما لهما من تأثير واضح في توجيه الخطاب ، وإن غفل المخاطب عن هذين الجانبين الهامين سوف يفشل فشلاً ذريعاً في الوصول إلى عقول وقلوب المخاطبين ، وسوف يكون خطابه سقيماً عقيماً ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في تغيير خطابه بين مكة والمدينة .

2- مراعاة مقتضى حال المدعو :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الناس بالموعظة فعن أبي وإل قال ((كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ حَجْسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوْ دِدْتُ أَنَّكَ دَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُكُمْ ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا)

8 - الخلاصة :

واجه الخطاب الديني منذ القدم تحديات عديدة ومتعددة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، خاصة مع ظهور العولمة والمعلوماتية أين لعبا دورا كبيرا في عرقلة خطاب المسلمين بشتى الطرق وبكل الوسائل خاصة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وما تشهده المجتمعات اليوم من حملات تكفيرية ومن طوائف تحمل خطابا بعيدة كل البعد عن دين الإسلام، غرضها الوحيد تشويه صورة الإسلام، وعلى جميع المسلمين التصدي لمثل هذه الحملات حتى لا تتسع ويتم إخمادها، والعمل على تقديم صورة سمحة من خلال مختلف الخطب خاصة التي تدعو إلى دين الإسلام.

المراجع:

- 1 ابن منظور. (1997)، لسان العرب، المجلد الثاني: دار صادر، لبنان .
- 2 محفوظ، علي، دس. فن الخطابة وإعداد الخطيب: مكتبة رحاب للنشر ، الجزائر.
- 3 ميلز، سارة، (2004). الخطاب، ترجمة: بغول يوسف : منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- 4 الحميري، عبد الواسع، (2009). ما الخطاب وكيف نحلله: المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان.
- 5 شومان، محمد، (2007). تحليل الخطاب الإعلامي : الدار المصرية اللبنانية، مصر.
- 6 أبو زيد، ناصر حامد، الخطاب والتأويل ، ط3 : المركز الثقافي العربي، المغرب .
- 7 السمالوطي، محمد توفيق، (1981). الدين و البناء الاجتماعي، الجزء 2، ط1: دار الشروق، المملكة العربية السعودية.
- 8 الجفري، الحبيب، (2004، أكتوبر). واقع الخطاب الإسلامي في وسائل الإعلام ، بحث مقدم في مؤتمر الهدي النبوي في الدعوة و الإرشاد، الإمارات العربية المتحدة.
- 9 يحيى عبد الهادي أبو زينة ، تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات المعاصرة نقلا عن: www.alnoor.se/article.2sp?id=67333
- 10 نويري، ابراهيم ، (03/09/2010)، وقفة مع مصطلح الخطاب الإسلامي، العدد532، مجلة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية الكويت.
- 11 وسام فؤاد، الخطاب الإسلامي... الماهية ودلالات التجديد، نقلا عن: wessamfauad.bloypot.com/2005/...blog-bost.ht...
- 12 سلمان فهد العوده، تجديد الخطاب الديني ، نقلا عن :
- 13 عصام البشير، منطلقات أساسية لخطاب إسلامي معاصر ، نقلا عن: sudansite.net/index.php?opt:
- 14 برير السادة، الخطاب الديني و ابعاد النص الغائبة، <https://annabaa.org/nbanews/69/589.htm>
- 15 الخطاب-الديني-و-التحديات-الداخلية <https://www.islam4u.com/ar/maghalat>

